

إن الدين يسر

اعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدُوِّ وَالرُّوحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ.

وأخرجه البخاري في كتاب الرقاق بالفاظ أخرى مقاربة: باب القصد والمداومة على العمل، بروايات عدة عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سددوا وقاربوا، واعلموا أن لن يدخل أحدكم عمله الجنة: وأن أحب الأعمال أدومها وإن قل. وعن أنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: أدومها وإن قل، وقال: اكلفوا من العمل ما

أخرجه البخاري - كتاب الإيمان، باب: الدين يسر وقول النبي صلى الله عليه وسلم: أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة. حديث رقم: ٣٩.

وأخرجه النسائي عن أبي هريرة ولفظه: إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدُوِّ وَالرُّوحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ.

تطيقون.

وفي لفظ قال: سدّدوا وقاربوا وأبشروا؛ فإنه لا يدخل أحدًا الجنة عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟

قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة.

وفي كتاب الإيمان من صحيح البخاري أيضًا باب: أحب الدين إلى الله أدومه، عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وعندها امرأة، قال: من هذه؟ قالت: فلانة.. تذكر من صلاتها. قال: مه.. عليكم بما تطيقون.. فوالله لا يمل الله حتى تملوا، وكان أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه.

وفي كتاب الصوم من صحيح البخاري.. باب صوم شعبان، عن عائشة: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يصوم شهرًا أكثر من شعبان؛ فإنه كان يصوم شعبان كله، وكان يقول: خذوا من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وأحب الصلاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دووم عليه. وكان إذا صلى صلاة داوم عليها.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد.

قال ابن حجر في شرح الباب والحديث

قوله: (باب الدين يسر)، أي: دين الإسلام ذو يسر، أو سمى الدين يسرًا مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم. ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم، وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والتندم. يريد: توبة بني إسرائيل بعد ما عبدوا العجل

كما في قوله تعالى: «وَأَذْ قَالَ مُوسَى تَقَوْمَهُ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ» (البقرة: ٥٤).

قوله: (أحب الدين) أي: خصال الدين؛ لأن خصال الدين كلها محبوبة، لكن ما كان منها سمحًا-أي: سهلًا- فهو أحب إلى الله. ويدل عليه ما أخرجه أحمد بسند صحيح من حديث أعرابي لم يسمه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خير دينكم أيسره، وأحب الأديان إلى الله الحنيفية».

والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تبدل وتُنسخ. والحنيفية ملة إبراهيم، والحنيف من كان على ملة إبراهيم، وسمي إبراهيم حنيفًا لميله عن الباطل إلى الحق؛ لأن أصل الحنف الميل. والسمحة السهلة، أي: أنها مبنية على السهولة. لقوله تعالى: «وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أَيْبِكُمْ إِبْرَاهِيمَ». والحديث المعلق لم يستد به البخاري في الصحيح لأنه ليس على شرطه. نعم وصله في كتاب الأدب المفرد، وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وإسناده حسن. واستعمله البخاري في الترجمة لكونه متقاصرًا عن شرطه، وقوّاه بما دل على معناه لتتناسب السهولة واليسر، والحديث من أفراد البخاري عن مسلم، وصححه- وإن كان من رواية مدلس بالنعنة- لتصريحه فيه بالسماع من طريق أخرى.

وأخرجه المصنف في كتاب الرقاق بمعناه ولفظه "سدّدوا وقاربوا"، وزاد في آخره



ولم يذكر شقه الأول. وقد أشرنا إلى بعض شواهد ومنها حديث عروة الفقيمي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ”إن دين الله يسر“، ومنها حديث بريدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ”عليكم هدياً قاصداً، فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه“ رواهما أحمد وإسناد كل منهما حسن.

قوله: (ولن يشاد الدين إلا غلبه) هكذا في روايتنا بإضمار الفاعل، وثبت في رواية ابن السكن وفي بعض الروايات عن الأصيلي بلفظ ”ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه“، وكذا هو في طرق هذا الحديث عند الإسماعيلي وأبي نعيم وابن حبان وغيرهم. والدين منصوب على المفعولية وكذا في روايتنا أيضاً، وأضمر الفاعل للعلم به.

وحكى صاحب المطالع أن أكثر الروايات برفع الدين على أن يشاد مبني لما لم يُسم فاعله، وعارضه النووي بأن أكثر الروايات بالنصب، ويجمع بين كلاميهما بأنه بالنسبة إلى روايات المغاربة والمشاركة

ويؤيد النصب لفظ حديث بريدة عند أحمد ”إنه من شاد هذا الدين يغلبه“ ذكره في حديث آخر يصلح أن يكون هو سبب حديث الباب.

والمشادة بالتشديد المغالبة. يقال: شاده يشاده مشادة إذا قاواه. والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب. قال ابن المنير: ”في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي

إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار، أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة.

وفي حديث محجن بن الأدرع عند أحمد ”إنكم لن تنالوا هذا الأمر بالمغالبة. وخير دينكم اليسرة“، وقد يستفاد من هذا الإشارة إلى الأخذ بالرخصة الشرعية، فإن الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيفضي به استعماله إلى حصول الضرر.

قوله: (فسددوا) أي: الزموا السداد وهو الصواب من غير إفراط ولا تفريط. قال أهل اللغة: السداد التوسط في العمل.

قوله: (وقاربوا) أي: إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه.

قوله: (وأبشروا) أي: بالثواب على العمل الدائم وإن قل. والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه لا يستلزم نقص أجره، وأبهم المبشر به تعظيماً له وتعظيماً.

قوله: (واستعينوا بالغدوة) أي: استعينوا على مداومة العبادة بإيقاعها في الأوقات المنشطة.

والغدوة بالفتح سير أول النهار. وقال الجوهري: ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس. والروحة بالفتح السير بعد الزوال. والدلجة بضم أوله وفتحها وإسكان اللام سير آخر الليل، وقيل

ليست عوضاً وثمناً للعمل، ولكن العمل سبب لدخول الجنة، وإنما يدخلها من يدخلها برحمة الله إذا أخذ بالسبب الذي جعله الله سبباً لدخولها، فإن رحمة الله لا ينالها إلا من اجتهد في طاعة الله وأحسن العمل؛ كما قال تعالى: **«إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»** [الأعراف: ٥٦]. وقال تعالى: **«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ»** [البقرة: ٢١٨].

فعلى العبد أن يتحرى مواقع رحمة الله تعالى مجتهداً في العمل الصالح غير راكن إلى هذا العمل عاكفاً أنه إنما يدخل الجنة ويستحق المثوبة بفضل الله ومنته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: **«وقوله صلى الله عليه وسلم: "لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله"، لا يناقض قوله تعالى: "جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"؛ فإن المنفي نفي بقاء المقابلة والمعاوضة، كما يقال: بعث هذا بهذا، وما أثبت أثبت بقاء السبب، فالعمل لا يقابل الجزاء وإن كان سبباً للجزاء.**

ولهذا من ظن أنه قام بما يجب عليه وأنه لا يحتاج إلى مغفرة الرب تعالى وعفوه، فهو ضالٌّ، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **«لن يدخل أحد الجنة بعمله»**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفصل»** وروي **«بمغفرته»**.

فاللهم إنا نسألك من فضلك ورحمتك.. فإنه لا يملكها إلا أنت.

وصل اللهم على محمد نبي الرحمة وآله وصحبه ومن تبع هداة.

سير الليل كله، ولهذا عبر فيه بالتبويض؛ ولأن عمل الليل أشق من عمل النهار.

وهذه الأوقات أطيب أوقات المسافرين، وكأنه- صلى الله عليه وسلم- خاطب مسافراً إلى مقصد فنبهه على أوقات نشاطه؛ لأن المسافر إذا سافر الليل والنهار جميعاً عجز وانقطع، وإذا تحرى السير في هذه الأوقات المنشطة أمكنته المداومة من غير مشقة.

وحسن هذه الاستعارة أن الدنيا في الحقيقة دار نقلة إلى الآخرة، وأن هذه الأوقات بخصوصها أروح ما يكون فيها البدن للعبادة.

وقوله في رواية ابن أبي ذئب **«القصْدُ القصْدُ»** بالنصب فيهما على الإغراء، والقصْدُ الأخذ بالأمر الأوسط، ومناسبة إيراد المصنف لهذا الحديث في كتاب الإيمان عقب الأحاديث التي تضمنت الترغيب في القيام والصيام والجهاد، فأراد أن يبين أن الأولى للعامل بذلك أن لا يجهد نفسه بحيث يعجز وينقطع، بل يعمل بتلطف وتدرج ليدوم عمله ولا ينقطع. (انتهى بتصرف يسير من فتح الباري).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«فإنه لا يُدْخِلُ أَحَدًا الْجَنَّةَ عَمَلُهُ»**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة. لا يعني أن الأعمال ليس لها قيمة ولا تأثير في دخول الجنة، ولا فقد قال الله تعالى: **«وَلَتَكُنِ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»** [الزخرف: ٧٢].

وقال الله عز وجل في شأن السابقين المقربين: **«جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»**؛ أي: هذا الذي أتحفناهم به مجازاة لهم على ما أحسنوا من العمل.

والجمع بين هذه الآيات والحديث أن الجنة

